الأوضاع الأمنية في مكة في العصر الأيوبي
٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م

الباحثة:
حصة هادي البقمي
جامعة الإمام محمد بن سعود- كلية العلوم الاجتماعية

ملخص باللغة العربية:

يتناول البحث الأوضاع الأمنية في مكة إبان حكم الأيوبيين، تحديدا من منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن السابع، أي من عام ٥٦٧-٦٤٨ هجرية/ ١١٧١-١٢٥٠ميلادية.

ومكة والبيت العتيق لهما مكانة عظيمة في عقول وقلوب جميع المسلمين، ولذلك فالحفاظ على أمن مكة وأمن زوار الكعبة المشرفة، مسئولية الخلفاء والحكام، وفي هذه المرحلة المهمة من تاريخ العالم الإسلامي، وهي المرحلة التي شهدت تهديد العالم الإسلامي بعد بالحروب الصليبية، كان الحفاظ على أمن مكة مسئولية الدولة الأيوبية، والبحث يناقش الأوضاع الأمنية وجهود هذه الدولة في الحفاظ على أمن وأمان مكة المكرمة.

* * * * *

Abstract:

The research deals with the security situation in Mecca during the rule of the Ayyubids, specifically from the middle of the sixth century to the middle of the seventh century, that is, from the years ٦٤٨-٥٦٧ AH / ١١٧١-١٢٥٠ AD.

Mecca and the ancient House have a great place in the minds and hearts of all Muslims. Therefore, maintaining the security of Mecca and the security of visitors to the Holy Kaaba was the responsibility of the caliphs and rulers. At this important stage in the history of the Islamic world, which is the stage that witnessed the threat of the Islamic world after the Crusades, maintaining the security of Mecca is the responsibility of the Ayyubid state, and the research discusses the security situation and the efforts of this state to maintain the security and safety of Mecca.

المقدمة

ظل العباسيون يتمتعون بالسيادة على مكة لا ينازعهم فيها منازع، حتى استطاع العبيديين ان يقيموا خلافتهم في شمال أفريقيا واخذوا يتوسعون في مصر والشام، ومدوا نفوذهم على الأراضي المقدسة بالحجاز، وبدا الصراع والتنافس بين العباسيين والعبيديين على مكة، مما اثر على الأوضاع الأمنية في مكة ومواسم الحج في تلك الفترة، لكن ما لبثت أن ضعفت الدولة العبيدية، واستطاع صلاح الدين الأيوبي القضاء عليها في عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، وعادت مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية، ومد صلاح الدين بعد ذلك نفوذه إلى الحجاز، فكانت بداية لتاريخ جديد في الحجاز عامة، ومكة خاصاً بعد المنافسة والصراع السني الشيعي لفترة طويلة من الزمن.

لكن الصراعات عادت للظهور من جديد بسبب الصراع على السلطة بين القوى المحلية المتنافسة على ولاية مكة، وبين ولاة مكة وأمراء الحج، وكذلك الصراع بين السلاطين الأيوبيين وحكام آل رسول في اليمن للسيطرة ومد نفوذهم على مكة، مما كان له بالغ الأثر على الأمن في مكة ومواسم الحج والوضع الاقتصادي.

ففي بداية النفوذ الأيوبي على مكة حدث نزاع بين أولاد عيسى بن فليته وهما مكثر وداود، وقد حاول الأيوبيون الإصلاح بينهما، وبعد استقرار الحكم للأمير مكثر في مكة، شعر بحاجته إلى تثبيت مركزه، ليتحاشى استبداد بغداد، وخاصة أن بغداد بدأت تمد نفوذها وتتدخل في شؤون الحكم، وبدأ الأمير مكثر يتخذ التدابير للحفاظ على سلطته في مكة، وبالتالي أدت تلك التدابير إلى المواجهة مع أمير الحج العراقي طاشتكين في حج عام ٥٧١هـ/١١٧٥م، وبعد الأمير مكثر آلت إمرة مكة إلى اسرة جديدة وهي أسرة قتادة، حيث استطاع قتادة انتزاع امارة مكة من اسرة الهواشم عام ٥٩٧هـ ١٢٠٠م، وأثناء ولاية قتادة كثرت النزاعات بين أهل مكة

والحجاج العراقيين، وعلى سبيل المثال ما حدث في منى عام ٦٠٨هـ ١٢١١م، وتولي امارة مكة بعد قتادة ابنه الحسن، وذلك بعد فتنة عظيمة بين اسرة قتادة، وكانت سببها التنازع على تولى السلطة وامتدت تلك الفتنة إلى الحجاج العراقيين حيث تدخل امير الحج العراقي ولكنه قتل.

وفي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م قام ملك اليمن مسعود بن يوسف بن الكامل الأيوبي حملة على مكة، ودار قتال بين الطرفين في الصفا والمروى وانتهت بهزيمة الحسن وآلت إمرة مكة للملك مسعود.

وعلى أثر وفاة الملك مسعود عام ٦٢٦هـ اضطرب أمر الحكم في مكة، وحدثت نزاعات بين حاكم اليمن الجديد نور الدين بن رسول، والملك الكامل وراجح بن قتادة لتولي امارة مكة، وظلت مكة تتأرجح بين ال رسول حكام اليمن، وبين الأيوبيين إلى ان عمت الفوضى في بلاد الحجاز عامة في ومكة خاصةٌ، وقد تداول الحكم في مكة المكرمة ولاة من كل الفريقين المتنافسين نحو عدة سنوات عانت مكة فيها غلاء المعيشة وقلة الأرزاق، مما كان له أسوأ الأثر على مكة والمشاعر والمواقيت من الناحية الاقتصادية والأمنية.

وفي الجانب البيئي تعرضت مكة لسيول وأوبئة أدت إلى الموت وتسببت بالدمار وغلاء المعيشة ، وعلى سيبل المثال ما حدث في عام ٥٦٩هـ، حيث كان في مكة غلاء معيشة مما أدى إلى أكل الناس الجلود من شدة المجاعة التي حلت بهم، كذلك في مكة عام ٦٢٦هـ حيث سال وادي زج أربعين مرة، مما أدى إلى الوباء وغلاء الاسعار.

حرمة مكة:

لا يخفى على كل من له أدنى علم، وأدنى بصيرة حرمة مكة، ومكانة البيت العتيق، لأن ذلك أمر قد أوضحه الله في كتابه العظيم في آيات كثيرة، وبينه

رسوله محمد عليه الصلاة والسلام في أحاديث عدة، وبينه أهل العلم في كتبهم ومناسكهم، وفي كتب التفسير، ومن

الآيات الواردة في حرمة مكة والبيت الحرام قول الله عز وجل: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} سورة الحج: ٢٥.

ومن الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها، قوله –صلى الله عليه وسلم– كما في الصحيحين: (فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ، إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا). (١)

وروى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: (أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِمَكَّةَ) (٢)

نبذة جغرافية عن مكة:

وصف الرحالة الجغرافيون لنا مكة في كتبهم، حيث وصفها اليعقوبي بقوله : "ومكة بين جبال عظام وهي أودية ذات شعاب فجبالها المحيطة بها: أبو قبيس الجبل الأعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام، وقعيقعان، وفاضح، والمحصب، وثور عند الصفا، وجراء وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق، والحجون، وسقر" (٣)، وقال عنها بطليموس: " طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وعشرون درجة، وقيل إحدى وعشرون، تحت نقطة السرطان" (٤)، كذلك تحدث عنها الادريسي بقوله: "وهي مدينة بين شعاب الجبال وطولها من المعلاة إلى المسفلة نحو ميلين وهو من حد الجنوب إلى جهة الشمال ومن أسفل جبل أجياد إلى ظهر جبل قعيقعان ميل" . (٥)

ويمكن تحديد مكة جغرافيا ضمن المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، ولقد اختار الله موقعها في هذه الدنيا ليؤدي المسلمون فيها مناسكهم في كل فصل من فصول السنة، فهي ليست من أشد بقاع الأرض حراً، وليست باردة، وهي غير جافة ولا رطبة، ولاهي كثيرة الأمطار ولا قاحلة جداً، أما موقعها من الكرة الأرضية فهي تقع على خط الطول "٣٨/٣٠" وعرضها " ٣٠/ ٢١" تقريباً، وفي الجنوب من الحجاز على (٤٦٠) كيلاً جنوب المدينة المنورة، و(٧٣) كيلاً شرق جدة، و(٩٨) كيلاً غرب الطائف.[٦]

أوضاع مكة ما قبل العصر الأيوبي:

حكم مكة في الفترة التي سبقت العصر الأيوبي [٧] عدة ولاة، كان من أبرزهم علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن، وكان قد دخل مكة عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكانت فترة ولايته فترة أمن واستقرار، وقد أظهر العدل والإحسان، واستعمل الجميل مع أهلها، ومنع المفسدين، وطابت به قلوب الناس، وأمن الحاج أمناً لم يعهد مثله، ورخصت الاسعار في أيامه وكثرت له الأدعية، بعد ذلك خرج الصليحي إلى اليمن، وأقام محمد بن أبي هاشم نائباً عنه، وذلك بعد أن طلبوا منه الحسنيون الخروج من مكة واختيار نائباً عنه، حيث كان بنو سليمان الحسنيون حكاماً لمكة، وقد هربوا منها لما دخلها الصليحي، لكن الحسنيون بنو سليمان قصدوا محمد بن أبي هاشم بعد ان سار الصليحي إلى اليمن، فخرج محمد بن أبي هاشم من مكة بعد دخول بنو سليمان إليها، ولقد نهب بنو سليمان مكة، وبسبب تلك الأوضاع منع صاحب اليمن اليمنيون من الحج في ذلك العام وغلت الاسعار في مكة، وعاد أبي هاشم محمد بن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها.[٨]

وكان أبي هاشم محمد هو أول من قطع خطبة العبيديين في مكة، وخطب للعباسيين، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بذلك مالاً عظيماً، وكان تارة يخطب للعبيديين وتارة للعباسيين، ويقدم من أعطيته أكثر[٩]، وقد نهب أبو هاشم محمد بن جعفر الحجاج في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣ م، وذلك بعد ان فرغ الحجاج القادمين من دمشق مع أميرهم تاج الدولة تتش من حجهم وعادوا سائرين، سير إليهم أمير مكة أبي هاشم محمد عسكر فلحقوهم بالقرب من مكة، ونهبوا كثيراً من أموالهم وجمالهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.[١٠]

وتولى بعده ابنه قاسم بن محمد مدة يسيرة، ثم انتزعها منه عنوه الإصبهبذ بن سارتكين، ثم ان قاسم جمع عسكر واستعاد ولاية مكة [١١]، واستمرت فترة حكمه ثلاثين سنة وكانت فترة اضطراب[١٢]، وبعد وفاته تولى مكة ابنه فليته وكان أعدل منه وأحسن سيرة، وبعد فليته تولى مكة عدة أمراء من الهواشم ، كان أبرزهم الأمير قاسم بن هاشم، حيث كان سيرته سيئة في مكة، ولقد هرب قاسم بن هاشم من مكة عام ٥٥٦هـ/١١٦١م؛ خوفاً من أمير الحج العراقي.[١٣]

واستولى على مكة عمه عيسى، ولقد حصلت بين عيسى وأخيه مالك فتنة كبيرة تواجها فيها عسكر عيسى مع أخيه، وكان سببها التنازع على السلطة، وانتهت بالصلح بينهم وتولى عيسى إمارة مكة، واستقر الأمر لعيسى إلى عام ٥٧٠هـ/١١٧٥م [١٤]، ولقد انقطع خلال تلك الفترة التي سبقت العصر الأيوبي ركب الحاج العراقي إلى الأراضي المقدسة عدة مرات بسبب الفتن والنزاعات على إقامة الخطبة للعبيديين ورفض الدعاء للعباسيين في مكة.[١٥]

* * * *

أولًا: العوامل المؤثرة على أمن مكة:

١- الفتن الداخلية:

إن الأمن و الأمان من أعظم النعم التي تفضل الله سبحانه وتعالى بها على بني الإنسان، وحتى تتحقق الغاية من خلق البشر وهي عبادته سبحانه وتعالى لابد من الأمن والأمان للفرد والمجتمع، فالأمن ضرورة بشرية – وحث عليه الشارع الحكيم، ولأهمية الأمن في الإسلام فلقد ورد في القرآن لفظ الأمن في موضعين متتاليين فقال تعالى: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}، {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} سورة الأنعام : ٨١، ٨٢.

ولقد روى عبيد الله بن محصن الخطمي: عن النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا" (١٦) فالحديث دال على أن أمن الإنسان على نفسه وماله وبدنه، وقوت يومه أعظم شيء يحصل عليه، لأن اختلال الأمن يؤدي إلى اختلال الموازين والقيم والأخلاق، فلا مال يستفاد منه بدون الأمن، ولا صحة ولا حياة تُرجى بدون الأمن، ولا استقرار ولا تطور بدون الأمن، فالأمن هو الحياة.

إن الثورات الداخلية والاقتتال والتصارع على السلطة التي شهدتها مكة المكرمة في الفترة الزمنية التي امتدت من ٥٦٨–٦٤٨هـ/ ١١٧١–١٢٥٠م، ذات تأثير بالغ على مجريات الأمور بجميع نواحيها من دينية وسياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية، وعندما تحدث الفتن والاضطرابات الداخلية فمن الطبيعي يختل الأمن والاستقرار ويصبح الناس في حالة من الخوف والهلع، حيث تصبح المدينة عرضةٌ للصوص والمفسدين سوءٌ من أبناء مكة أو الوافدين إليها، وقد يستغلونها ضعاف النفوس فيقومون بمهاجمة الآمنين ويسرقون أموالهم ومتاعهم، وكان زوار بيت الله الحرام من حجاج ومعتمرين هم الهدف الأول لتلك الفئة من الناس، حيث يتعرضون لسرقة والقتل والنهب، كذلك التجار والسكان هم هدف ايضاً يقصدوهم المتمردون عند اختلال الأمن، حيث لا يرعون حرمة المكان وقدسيته.

ومما يلاحظ ان القادمين للحج من العراق والشام ومصر واليمن يصطحبون في حملته للحج فرق عسكرية لحمايتهم وتكون تلك الفرق مسلحة من اجل الدفاع عن الحجاج في مكة والمشاعر المقدسة، حيث في كثير من المواسم كان امراء مكة منشغلين بنزاعاتهم الداخلية على السلطة، وبالفتن كما حدث في ٥٧١هـ/١١٧٦م، عندما قام مجموعة من الخوارج على داود بن عيسى، مما أدى إلى هروبه وترك السلطة إلى أخيه مكثر(١٧)، واستمرت المواجهات ونزاعات على السلطة بين مكثر وأخيه داود بن عيسى، ثم استقرت الولاية لمكثر إلى وفاته عام ٥٩٧هـ/١٢٠١م، ثم انتقلت السلطة من أسرة الهواشم إلى أسرة قتادة بن إدريس الحسني.(١٨)

وكانت في هذه الأسرة صراعات دامية حيث ان الحسن بن قتادة قام بقتل عمه وأبيه وأخية من أجل السلطة، وانتهت الفتن والصراعات الداخلية على السلطة بعد تدخل ملك اليمن المسعود في ولاية مكة، وبدء مرحلة جديدة من الصراعات، لكن على الصعيد الخارجي.(١٩)

٢- الأخطار الخارجية:

إن المتتبع لتاريخ مكة المكرمة في العصر الإسلامي يجد ان هناك تنافس شديد من قبل الدول الإسلامية التي حكمت في تلك الفترة على بسط سيطرتهم على مكة، حيث ان كل دولة ترغب في مد نفوذها على مكة، وتتدخل في من يتولى الإمارة فيها، أو تفرض تلك الدولة على أهل مكة حاكماً من قبلها، وذلك من أجل ان تصبح لها الزعامة الروحية في العالم الإسلامي، فكانت مكة تحت حكم الخلافة العباسية فترة من الزمن وبعد خروج مكة من تحت نفوذ الدولة العباسية، خضعت المدينة لسيطرة الكثير من الدول مثل الدولة الإخشيدية، والدولة العبيدية، ثم الدولة الأيوبية.

إن المطلع على الأوضاع في مكة في العصر الأيوبي يرى أن أمن مكة مهدد بسبب الصراعات الداخلية والخارجية على السلطة، ولم تكن الأخطار الخارجية بأقل تأثيراً على وضع مكة الأمني من الفتن الداخلية، ولقد كانت مكة مسرحاً للموجهات بين أمراء مكة والقوات العسكرية القادمة من مصر، ومن اليمن.

ففي عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، كانت هناك مواجهة في المسعى في الحرم المكي الشريف، بين أمير مكة حسن بن قتادة والملك المسعود الملقب (أقشبيس) ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي ايوب صاحب اليمن، فانهزم حسن بن قتادة وهرب من مكة، واصبحت مكة تحت حكم الملك المسعود، واستمرت ولايته إلى ان مات عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وكان يتولاها بالنيابة عنه شخصين الاول نور الدين عمر ابن علي بن رسول الذي أسس الدولة الرسولية [٢٠] في اليمن فيما بعد، وقد وقعت بينه وبين الأمير حسن بن قتادة أمير مكة السابق مواجهة انتهت بهزيمة حسن، والرجل الثاني الذي تولى مكة بعد نور الدين عمر نيابةٌ عن الملك المسعود الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودي، وذلك عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، وبعد وفاة الملك المسعود تولى مكة والده الملك الكامل، واستمرت ولايته إلى عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م.[٢١]

وبعد ذلك دخلت دولة جديدة في التنافس على ولاية مكة، وهي الدولة الرسولية في اليمن، حيث بعث نور الدين عمر بن رسول بعد ان بويع بالسلطنة في اليمن جيشاً إلى مكة ومع ذلك الجيش راجح بن قتادة أخو حسن بن قتادة الوالي السابق لمكة، وتم اخراج الأمير طغتكين [٢٢] نائب الملك الكامل من مكة وهرب إلى ينبع، بلغ ذلك الخبر إلى الملك الكامل، فجهز طغتكين بجيش كبير على مقدمته الأمير فخر الدين، وعندما وصل الجيش إلى طغتكين دخل به إلى مكة فاخرجوا منها راجح بن قتادة ومن معه من أهل اليمن، واستولى طغتكين من جديد على مكة

وقتل خلقاً كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له في مواجهته الأولى مع جيش اليمن، وكانت تلك الأحداث في عام٦٢٩هـ/١٢٣٢م. (٢٣)

وفي بداية عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، استولى راجح بن قتادة وعسكر اليمن على مكة بدون قتال، ولكن في نهاية تلك العام عادت مكة إلى سلطة الملك الكامل، ووليها أمير يعرف بابن مجلى، ولكن ما لبثت ان عادت ولاية مكة إلى سلطة عسكر الملك المنصور صاحب اليمن، وراجح بن قتادة، وذلك في عام ٦٣١هـ/١٢٣٤م، وبعد ان تولى عسكر اليمن على مكة مرةٌ اخرى، جهز الملك الكامل جيشاً قوامه الف فارس، وقيل تسعمائة وقيل خمسمائة وعلى رأس ذلك الجيش خمسة أمراء يتقدمهم جفريل، واستطاع ذلك الجيش استرجاع مكة، واصبحت ولاية مكة لجفريل، واستمرت ولايته إلى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م.(٢٤)

ولقد سار الملك المنصور صاحب اليمن في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، إلى مكة بنفسه ومعه ألف فارس وهرب جفريل من مكة، ودامت ولاية الملك المنصور على مكة إلى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م، وجعل عليها أميرين وهما ابن الوليد وابن التعزى، ولقد أرسل الملك الأيوبي الصالح أيوب ابن الملك الكامل صاحب مصر في تلك السنة جيشاً من ألف فارس معهم الشريف شيحة صاحب المدينة المنورة، واستولوا عليها بدون قتال يذكر وذلك في سنة ٦٣٧هـ/١٢٤٠م.(٢٥)

ثم رجعت ولايتها من جديد إلى عسكر اليمن وهرب الشريف شيحه، ولكن في عام ٦٣٨هـ/١٢٤١م، عادت إلى معسكر الملك الصالح، وكان ممن وليها من قبل الملك الصالح الامير شهاب الدين التركماني، لكن الملك المنصور صاحب اليمن لم يستسلم وعاد من جديد بجيش يقوده بنفسه ودخل مكة في رمضان عام ٦٣٩هـ/١٢٤٢م، وهرب والي الملك الصالح خوفاً من عسكر اليمن، واستمرت ولاية الملك المنصور على مكة إلى وفاته، وتولاها بعده مملوكه الامير فخر الدين وابن

فيروز، وجعل أبا سعد بن علي بن قتادة بالوادي مساعداً لعسكره، استمرت نيابة فخر الدين على مكة إلى عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٧م، حيث عزله ابن المسيب وكان نائب للمنصور صاحب اليمن، بعد ذلك ولي مكة الشريف أبو سعد بعد ان قبض على ابن المسيب في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٨م. (٢٦)

إن المتأمل في تلك الأحداث لا يدرك حجم المخاطر التي تعرضت له مكة وساكنيها، من تلك التدخلات الخارجية والصراعات على السلطة، وبلا شك أن لها انعكاسها على الأمن، حيث ان مكة لم تنعم بالاستقرار، ففي عام ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م، بدأت التدخلات الأيوبية واستمرت إلى عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، وكانت هذه الفترة الصراع قائم بين الأمراء المحليين لمكة والدولة الأيوبية.

بعد ذلك دخلت مكة في مرحلة جديدة من الصراع على السلطة، حيث انتقال الصراع بين دولتين، ففي عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، بدأت الدولة الرسولية تنافس الأيوبيين على حكم مكة، واستطاعت الدولة الرسولية مد نفوذها على مكة، ثم بدأ انتقال السلطة من دولة إلى دولة إلى عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، حيث استمرت الصراعات ستة عشر سنة، ولم تستمر مدة حكمهم في بعض الفترات كثيراً كما حدث في عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، ففي بدايته كانت السلطة لعسكر اليمن وفي نهايته كانت السلطة لدولة الأيوبية، ثم انتقلت السلطة في مطلع عام ٦٣١هـ/١٢٣٤م، إلى عسكر اليمن واستعادها الأيوبية في نفس السنة، ان عدم استقرار السلطة يؤثر على حياة الفرد والجماعة، كذلك يؤثر سلباً على الحياة اليومية لمجتمع مكة في تجارتهم وأسواقهم، وطرقهم، وفي مساكنهم، وايضاً لها انعكاسها الكبير على الحجاج والمعتمرين والزوار لبيت الله الحرام والمشاعر المقدسة.

ثانيًا: المشكلات الأمنية المتعلقة بالأمن السياسي والجنائي:

١- الخلافات بين القوى المحلية:

إن الصراع والاقتتال من أجل السلطة كانت سمة في التاريخ البشري القديم والإسلامي والحديث، وبرغم ان الدين الإسلامي يحذر وبشدة من مغبة الحرص على السلطة، الان ان ما نجده في كتب التاريخ الإسلامي من عنف وصراعات دموية بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يبين لنا عدم الاكتراث بما حذر منه الدين، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَصِيرُ نَدَامَةً وَحَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ ". (٢٧)

كانت مكة تعاني من الصراعات المحلية فضلاً عن التدخلات الخارجية، مما أثر في وضعها الأمني، حيث ان التصارع على السلطة بين القوى المحلية في مكة أدى إلى عدم الاستقرار، وانعكست تبعاته على سكان مكة، وأمن الوافدين للمشاعر المقدس وبيت الله الحرام.

وعندما قامت الدولة الأيوبي بمصر عام ٥٦٧هـ/١١٧٢م (٢٨)، كانت ولاية مكة بيد الأمير عيسى بن فليته بن هاشم الحسني، وكان قد عهد بالولاية لابنه داود، وبعد وفاة الأمير عيسى عام ٥٧٠هـ/١١٧٥م، وليها بعده ابنه داود فأحسن السيرة، وعدل في الرعية، لكن في ليلة النصف من رجب في عام ٥٧١هـ/١١٧٦م، خرجت خوارج على داود بن عيسى، مما أدى إلى خروجه عن منزله وسار إلى وادي نخله هرباً من تلك الفئة، وتولى أخوة مكثر أمر مكة من بعده، وكان توران شاه أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي (٢٩) قادماً من اليمن إلى مكة قاصدا بلاد الشام، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر ظاهر مكة، وأصلح بينهما.(٣٠)

لكن الامر لم يدم للأمير مكثر، حيث كان هناك مواجهه في عام ٥٧١هـ/١١٧٦م، بين مكثر وأمير الحج العراقي، انتهت تلك المواجهة بتسليم داود بن عيسى ولاية مكة (٣١)، ولم تذكر لنا المصادر مدة حكم داود لمكة، لكن من

المعروف ان ولاية مكة اصبح يتداولها داود وأخوه مكثر إلى عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، حيث تولاها في هذه السنة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ لأنه في هذه السنة قدم مكة، ومنع من الأذان في الحرم بحي على خير العمل، وقتل جماعة من العبيد كانوا يفسدون، وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج، وضرب الدنانير والدراهم فيها باسم أخيه السلطان صلاح الدين، ثم انفرد بها مكثر عشر سنوات متتالية، آخرها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م، وكان مكثر آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم. (٣٢)

وتولى أمارة مكة بعد مكثر قتادة بن إدريس العلوي الحسني إلى عام ٦١٨هـ/١٢٢١ م، وكانت فترة استقرار، حيث استمرت ولايته عشرين عام لم تكن خلالها صراعات على السلطة، وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن إلى المدينة المنورة، ولقد خافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً، لكن نهاية قتادة قتل من أجل السلطة من ابنه الحسن، قتله خنقاً فمات، حيث يرجع سبب تلك الحادث أن قتادة جمع جموعاً كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة فنزل في وادي وهو مريض وأمر أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة، وقد بلغ ابنه الحسن ان عمه قال للجند: "إن أخي مريض، وهو ميت لا محالة وطلب منهم أن يحلفوا له ليكون هو الأمير بعد أخية قتادة"، فقال الحسن لعمه: قد فعلت كذا وكذا فقال له عمه: لم أفعل فأمر الحسن الحاضرين بقتله فقتل.(٣٣)

فلما سمع قتادة الخبر بلغ منه الغيظ مبلغ، وحلف ليقتلن ابنه، فكتب بعض أصحابه إلى الحسن يخبره عن قرار ابيه، ويقول له: ابدأ به قبل أن يقتلك، فرجع الحسن إلى مكة، فلما وصل ذهب إلى منزل ابيه في نفر يسير، فوجد على باب الدار جميعاً كثير، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، ففارقوا الدار، وعادوا إلى مساكنهم، ودخل الحسن إلى أبيه، فلما راه أبوه شتمه، وبالغ في ذمه وتهديده، وثب إليه الحسن فخنقه، وخرج الحسن إلى الحرم وأحضر الأشراف وقال: إن أبي قد اشتد

مرضه، وقد أمركم أن تحلفوا لي أن أكون أنا أميركم، فحلفوا له ثم أظهر تابوتا أمام الناس ودفنه، وكان قد دفنه سرا، واستقرت ولاية مكة له وأرسل إلى أخيه الذي بقلعة الينبع يستدعيه على لسان أبيه، وكتم موت أبيه عنه، فلما وصل إليه قتله. (٣٤)

ولقد كان للحسن أخو اسمه راجح مقيم في العرب بظاهر مكة، حيث كان راجح ينازع أخاه الحسن مُلك مكة، ولقد قصد راجح أمير الحج العراقي وهو مملوك الخليفة الناصر لدين الله أقباش، وكان حسن السيرة مع الحاج في الطريق، وبذل له وللخليفة مالاً من أجل أن يساعده على ملك مكة، فأجابه إلى ذلك، ووصلوا إلى مكة، ونزلوا بالزاهر، وتقدم إلى أقباش مقاتلاً لصاحب مكة الحسن، في حين أن الحسن قد جمع جموعاً كثيرة من العرب وغيرهم، وسار أقباش من بين عسكره منفرداً، وصعد الجبل متحدياً للحسن، فأحاط به أصحاب الحسن وقتلوه، وعلقوا رأسه، فانهزم عسكر الخليفة، وقد أحاط أصحاب الحسن بالحجاج لينهبوهم، فأرسل الحسن إليهم عمامته أماناً للحجاج، فعاد أصحابه ولم ينهبوهم، وسكن الناس، واذن لهم الحسن في دخول مكة، وفعل ما يردونه من الحج والبيع وغير ذلك. (٣٥)

لقد كانت تلك الجرائم التي ارتكبت من أجل الحصول على السلطة، حيث قتل فيها الأب والعم والأخ، وهي بلا شك انها تؤثر على حياة العامة في مكة، وعندما تنتزع السلطة من شخص إلى شخص أو يقتل من هو على رأس السلطة يختل الأمن.

٢- الخلافات مع أمراء الحج:

الحج فريضة من أعظم فرائض الإسلام، وإحدى شعائره الكبرى، والرحلة إلى الحج تترتب عليها مجيء جموع غفيرة من المسلمين من كل فج على اختلاف

أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم، وقد كانت القافلة والتي على رأسها أمير الحج تضم الكبار والصغار من الرجال والنساء، وتقطع الطرق الطويلة والوعرة من أجل أدى مناسكهم.

ولقد كان الخلفاء العباسيون يرسلون الأمراء لحفظ الأمن بين الحجيج وإقامة شرع الله بينهم في السفر الطويل آنذاك، ولقد عني بنو العباس خلال فترة حكمهم بأمر الحج بصورة عامة، وبموكب الحج العراقي بصورة خاصة، لذلك اختير لإمارته بعض بني العباس في عهدهم الأول، ثم النقباء العلويين، ولما تغيرت أوضاع البلاد السياسية واستقلت أطراف الدولة عن جسم الخلافة العباسية وشاع الاضطراب في جزيرة العرب، اقتضى أن يلي أمرة الحج قائد عسكري يكون له الإلمام بالقتال والدفاع، ممن يتوسم فيه الخير من مماليك الخلفاء. (٣٦)

لكن مهام أمراء الحج لا تقتصر على حفظ سلامة الحجاج في القافلة من قطع الطرق، بل في أحياناً تكون لتنفيذ أوامر الخليفة، كما حدث بين الأمير مكثر والي مكة، وأمير الحج العراقي طاشتكين (٣٧)، حيث كانت حرب كبيرة، وكان سبب تلك المواجهة ان الخليفة العباسي أمر بعزل مكثر بن عيسى بسبب بنائه قلعة على جبل أبي قبيس، وإقامة أخيه داود مقامه، فقد وصل في ذي الحجة من عام ٥٧١هـ/١١٧٦م، أمير الحج العراقي طاشتكين بعسكر كثير، وعدد من المنجنيقات والنفاطين، فلما سار الحجاج عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة، ونزلوا الأبطح فخرج إليهم ناس من أهل مكة فحاربوهم، وقتل عدداً كبير من الفريقين وصاح الناس الغزاة إلى مكة فهجموا عليها، فهرب امير مكة مكثر، وتحصن في حصنه على جبل أبي قبيس، وقد استطاع طاشتكين إخراج مكثر من الحصن فهرب مكثر عن مكة، وعهد طاشتكين إلى داود أخي مكثر بتولي أمارة مكة من بعده. (٣٨)

كذلك من الخلافات التي حصلت بين أمراء الحج وولاة مكة ما ذكر في المبحث السابق عن تدخل أقباش مملوك الخليفة العباسي، في الصراع بين الأخوين الحسن وراجح، والتي انتهت بقتل أقباش أمير الحج العراقي. (٣٩)

٣- القضايا الجنائية (النهب- القتل):

النهب:

إن جريمة النهب من أخطر الجرائم والآفات التي تصيب المجتمعات، والنهب من الأمور التي حرمها الإسلام بشكل قاطع لا يقبل الشك، بل ووضع لها عقوبة قاسية في الدنيا قبل الآخرة، وهذا يدل على مدى بشاعة هذا الفعل وحرمته، ولقد وردت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر منها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"(٤٠)، ويصنف النهب من جرائم الاعتداء على الأموال والأمن العام.

وعندما تكون هناك سلطة قوية تطبق أحكام الشرع الحنيف تنعدم هذه الظاهرة، فمن خلال السلطة يرتدع كل من تسول له نفسه بالقيام بتلك الجريمة، لكن إذا كان هناك صراعات داخلية أو خارجية تكون المنطقة خصبة لضعف النفوس في مهاجمة الآمنين ونهبهم وتروعهم، كما حدث في المواجهة التي قامت عام ٥٧١هـ/١١٧٦م، بين أمير الحج العراقي طاشتكين والأمير مكثر، فقد كان هناك انفلت أمني، حيث قصد مجموعة من الناس لا خلاق لهم النهب فأخذوا شيئا كثيراً من أموال التجار المقيمين بمكة، وأحرقوا بيوت كثيرة بمكة.(٤١)

ويذكر لنا ابن جبير من خلال مشاهدته في رحلته إلى الأراضي المقدسة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، ما كان عليه الوضع الأمني، حيث يقول إن الله كفنا هذا العام شر الحرابة المتلصصين، بسبب أن أمير مكة أظهر التشديد عليهم فتوقف شرهم عن

الناس، وكان قبل ذلك آفة الحرم الشريف، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين الا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة.(٤٢)

ومن أحداث النهب تلك التي وقعت في مكة في عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بعد المواجهة الدامية، والتي وقعت بين أمير الحج العراقي طاشتكين، وأمير الحج الشامي ابن المقدم (٤٣) والتي راح ضحيتها ابن المقدم، حيث قام غوغاء العراق الذين في صحبة طاشتكين ونهبوا الحجاج الشاميين، وكذلك عندما قام الأمير قتادة بنهب الحجاج العراقيين بسبب مقتل أحد المقربين إليها من قبل أحد الباطنيين (٤٤)، وذلك في عام ٦٠٨هـ/ ١٢١٢ م.(٤٥)

وتعرض أهل مكة لنهب في عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وذلك عندما دخل عسكر اليمن بقيادة الملك المسعود ابن الكامل، حيث كان أمير مكة حينئذ الحسن بن قتادة، وقد تفرقوا عنه الأشراف والمماليك لأساته إليهم، ولم يبق معه غير أخواله، فنهب عسكر اليمن حتى الثياب عن الناس، وافقروهم.(٤٦)

القتل:

إن من أبشع الأفعال التي تنافي الإيمان الصادق جريمة القتل العمد للنفس المؤمنة التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، وإن قتل النفس بغير وجه حق، من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وقد نهى الله تعالى عنه في كتابه فقال: {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} الإسراء:٣٣، وتزداد جرماً إذا ارتكبت في بلد الله الحرام، فهي أفظع الأعمال وأكبرها إثمًا.

والاعتِداء والعدوان صفةٌ دنيئةٌ ملؤها الحقد والاستخفاف بحقوق الله وحقوق عبادِه، ان الساكن في مكة أو القادم إليها من الواجب عليها التحلي بضبط النفس والبعد عن الدخول في النزعات، حيث أن هناك فئة لا تراعي حرمة الدم المسلم وحرمة المكان، ولقد كانت هناك وقائع أدت إلى الاقتتال في مكة مثل ما حدث في

عام ٥٧٠هـ/١١٧٥م، فقد وقع بين الحاج العراقي وأهل مكة قتال، وذلك عند مغادرة الحاج العراقي المشاعر المقدسة في طريقة إلى العراق، وكانت حصيلة ذلك الاقتتال رجلان من أصحاب أمير الحج العراقي، وجرح ناس من أهل الحجاز.[٤٧]

الهوامش:

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) اخرجه البخاري ومسلم.

(٣) اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (المتوفى: ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، البلدان،
الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ص١٥٣.

(٤) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، الطبعة: الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م، ج٥، ص ١٨١.

(٥) الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى:٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ، ج١، ص١٣٩.

(٦) البلادي: عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، الطبعة: الثانية، دار مكة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٦٥٤.

(٧) العصر الأيوبي: يطلق على الفترة التي ظهرت فيها الدولة الأيوبية في (مصر والشام وغيرها) من عام ٥٦٧ – ٦٤٨ هـ/١١٧١ – ١٢٥٠ م، ويرجع نسب الأيوبيين إلى أسرة كردية من أذربيجان هاجرت إلى العراق، ومؤسس الدولة هو صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان والده (نجم الدين أيوب) واليًا على تكريت ثم انتقل إلى الموصل فدمشق، ثم صار نجم الدين (والد صلاح الدين) وأخوه أسد الدين شيركوه من كبار أمراء نور الدين محمود الزنكي (صاحب الشام). وأصبح أسد الدين نائبًا لنور الدين على مصر، وبعد موت أسد الدين خلفه ابن أخيه صلاح الدين، فكان وزيرًا للخليفة الفاطمي الشيعي (العاضد) ونائبًا عن نور الدين محمود السني فاستقل بحكم مصر بعد فترة. (العسيري: أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ – ٩٧ م، الطبعة: الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ص٢٥٥).

(٨) الفاسي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (المتوفى: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٩) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٥.

(١٠) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج٨، ٣٧٢،٣٨٥.

(١١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٣٥.

(١٢) ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٤، ص ١٣٤.

(١٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ٢٣٦.

(١٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٦.

(١٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٣٤.

(١٦) رواه الإمام الترمذي، وحسن الحديث بشواهده الألباني.

(١٧) ابن فهد: عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (المتوفى ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار ام القرى، تحقيق. فيهم محمد، الطبعة: الثالث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٢، ص٥٣٦.

(١٨) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٢٣٧.

(١٩) ابن الأثير: الكامل التاريخ، ج١٠، ص ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٨.

(٢٠) الدولة الرسولية: هي دولة قامت في اليمن من (٦٢٦ – ٨٥٨ هـ)، وهم جماعة من التركمان، ويقال أنهم ينتمون إلى الغساسنة، يعودون إلى جدهم محمد بن هارون الذي اتخذه خليفة عباسي رسولًا، قدموا إلى اليمن مع الأيوبيين سنة ٥٦٩ هـ، وكانوا قوادًا في الجيش، وكان الأيوبيون ينيبونهم عنهم ويعتمدون عليهم، في سنة ٦٢٦ هـ بعد أن ضعفت الدولة الأيوبية سيطر المنصور عمر على البلاد وأسس دولته، وجعل عاصمتها تعز. (العسيري: موجز التاريخ، ص٢٧٧).

(٢١) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٢٣٨.

(٢٢) طغتكين: هو طغتكين بن أَيوب بن شاحذي بن مَرْوَان سيف الْإِسْلَام أَبُو الفوارس المنعوت بِالْملكِ الْعَزِيز ظهير الدّين أَخُو السُّلْطَان صَلَاح الدّين يُوسُف، لما ملك صَلَاح الدّين الديار المصرية وسير أَخَاهُ توران شاه إِلَى بِلَاد الْيمن فملكها سير إِلَيْهَا بعده سيف الْإِسْلَام هَذَا سنة سبع ومسبعين وَخَمْسمِائَة وَكَانَ شجاعاً كَرِيمًا حسن السياسة مَقصودا من الْبِلَاد الشاسعة لإحسانه وبره.(الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (توفى: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، حقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ١٦، ص٢٥٨).

(٢٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٣٨.

(٢٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٩.

(٢٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٢٣٩.

(٢٦) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٩،٢٤٠.

(٢٧) رواه أحمد والبخاري والنسائي.

(٢٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٦٤.

(٢٩) صلاح الدين: هو السلطان يوسف بن أيوب ولد سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت في العراق، وكان والده أيوب بن شادي واليًا عليها، ثم انتقل الوالد إلى الموصل ، وتربى الشبل الأيوبي في كنف والده وعمه المجاهدين، وبدأ يترقى في كتائب المجاهدين، وانتدبه نور الدين محمود إلى مصر، وتسلم منصب وزارة التفويض بعد وفاة عمه في نهاية الدولة العبيدية، وبدأ في إرجاع مصر للخلافة السنية العباسية متدرجًا في تنفيذ هدفه النبيل، فعزل قضاة مصر العبيديين، وأسند القضاء إلى عبد الملك الشافعي، وقطع الأذان بـ «حي على خير العمل» وأقام الخطبة للخليفة العباسي بعد أن انقطعت

الخطبة للعباسيين بمصر ٢٠٨ سنوات.(الصلابي: عَلي محمد محمد، الدولة الفاطمية، الطبعة: الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، ص ١٣٩).

(٣٠) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٣٦.

(٣١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤١٩.

(٣٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٣٧.

(٣٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٦٨،٣٦٧.

(٣٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٦٨،٣٦٩.

(٣٥) المصدر السابق، ج١٠، ٣٦٨،٣٦٧.

(٣٦) بدري: محمد فهد، تاريخ أمراء الحج، مج٩، العدد (٤)، ١٩٨٠م، العراق، ص١٧٩–٢١٠.

(٣٧) طاشتكين: هو الأمير الكبير مُجير الدّين أَبُو سعيد المُستنجدي، سَمِعَ من: أبي الفتح ابن البطي، وعلي بن عساكر البطائحيّ، وكان أحدَ مماليك المستنجد بالله يوسف، ثمّ صار من بعده لولده المستضيء بأمر الله الحَسَن، وولي إمرة ركْب العراق سنين عديدة، وولي إمرة الحِلَّة المَزْيدَية مدَّة، ثُمَّ ولي تُسْتَرَ وخُوزستان، وكان سَمْحاً كريما، حسنَ السّيرة، وافرَ الحشمة، شجاعا، حليما، قليلَ الكلام إِلى الغاية، تمضي عَلَيْهِ الأيامُ لا يتكلَّمُ إِلّا نادرا، تُوُفّي بتُسْتَرَ، في جُمادي الآخرة عَنْ نَيّفٍ وثمانين سنة.(الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق. عمر عبد السلام التدمري، الطبعة: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ج ٤٣، ص٩٢).

(٣٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤١٩.

(٣٩) المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٦٨،٣٦٧.

(٤٠) متفق عليه، أخرجه البخاري، ومسلم

(٤١) الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م، ج١٨، ص٢٢٤.

(٤٢) ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين رحلة ابن جبير، (المتوفى: ٦١٤هـ/١٢١٧م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص ٨٩.

(٤٣) ابن المقدم: محمد بْن عَبْد الملك، الأمير شمس الدّين ابن المقدَّم، من كبار أمراء الدّولتين النُّورية والصّلاحية، وَهُوَ الَّذِي سلَّم سنْجار إلى نور الدّين، وسكن دمشق، فلما تُوفي نور الدّين كان أحد من قام بسلطنة ولد نور الدّين، ثُم إن صلاح الدّين أَعْطَاه بِعْلَبَكّ، فتحوَّل إليها وأقام بها، ثُم عصى عَلَى صلاح الدّين، فجاء إِلَيْهِ وحاصره، وأعطاه عِوَضها بعض القلاع. ثُمَّ استنابه عَلَى

دمشق سنة نيفٍ وثمانين، وكان بطلًا شجاعًا، محتشمًا، وَقَدْ حضر موقعة حِطّين، وفُتُوح عكّا، والقدس، والسّواحل. (الذهبي: مصدر سابق، ج ١٢، ص ٧٦٤)

(٤٤) الباطنية: هي دعوة ظهرت في أيام المأمون من حمران قومط ومن عبد الله بن ميمون القداح، وهي ليست من فرق ملة الإسلام، بل هي من فرق المجوس. (أبو منصور: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الطبعة: الثانية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ص ١٦).

(٤٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص٢٨٣،٢٨٢،٤٤،٤٣.

(٤٦) المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٧٨.

(٤٧) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ٥٣٦،٥٣٥.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القران الكريم.
- السنة النبوية.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين رحلة ابن جبير، (المتوفى: ٦١٤هـ/١٢١٧م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ابن فهد: عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (المتوفى ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار ام القرى، تحقيق. فيهم محمد، الطبعة: الثالث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ابن واصل: محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق. جمال الدين الشيال دار الكتب والوثائق، القاهرة، ١٣٧٧ هـ /١٩٥٧ م.
- الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (المتوفى: ٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

- الاسفراييني: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي (المتوفى: ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الطبعة: الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق. محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢.
- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، الطبعة: الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق. عمر عبد السلام التدمري، الطبعة: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (توفى: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، حقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الفاسي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (المتوفى: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (المتوفى: ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، البلدان، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

المراجع:

- البلادي: عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، الطبعة: الثانية، دار مكة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الصلابي: عَلي محمد محمد، الدولة الفاطمية، الطبعة: الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
- الطيار: عَبد الله بن محمد واخرون، الفِقهُ الميَسَّر، الطبعة: الثانية، مَدَارُ الوَطن للنَّشر، الرياض، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
- العسيري: أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ – ٩٧ م، الطبعة: الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- بدري: محمد فهد، تاريخ أمراء الحج، مج٩، العدد (٤)، ١٩٨٠م، العراق، ص١٧٩–٢١٠.
- الموسوعة الفقهية الكويتية– الكويت– وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.